مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ISSN : 2353-0472
المجلد5 ، العدد12، (ديسمبر2017) EISSN : 2600-6405

الحضور السياسي لأهل الذمة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني

الأستاذ: عبد الصمد حمزة **أ.د. محمد بوركبة**

جامعة وهران1 أحمد بن بلة

ملخص:

عرف المغرب الإسلامي تواجدا هاما لأهل الذمة خاصة منهم اليهود وبدرجة أقل النصارى، حيث شارك هؤلاء في تاريخ المنطقة وعايشوا كل الدول التي حكمت بها، بداية من الفتح الإسلامي، انطلاقا من مبادئ التعامل الإسلامي مع هذه الفئة والتي حددت أحكامها الشريعة الإسلامية، وقد شارك الذميون في كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وسنحاول في هذا البحث أن نطلع على الدور السياسي الذي لعبوه في ظل الحكم الزياني لبلاد المغرب الأوسط والذي امتد من القرن السابع إلى منتصف القرن العاشر الهجري الموافق للثالث عشر إلى السادس عشر للميلاد، وسنحاول أن نبين ما هي المناصب التي استطاعوا أن يتقلدوها في هذا العهد، وهل كان حضورهم السياسي في الدولة الزيانية مثل حضورهم في جارتيها الحفصية أو المرينية.

حيث كان استعمال أهل الذمة بصورة أكثر في المجال الدبلوماسي وخاصة إذا تعلق الأمر باليهود الذين أتقنوا عدة لغات وتمتعوا بجانب كبير من الدهاء والحيلة والمكر ما ألجأ حكام بني عبد الواد إلى استعمالهم في سفاراتهم خاصة إلى البلاد المسيحية والممالك النصرانية.

الكلمات المفتاحية: الذميون-اليهود-النصارى-الدولة الزيانية-السفراء

Summary:

The Islamic Maghreb defined an important presence for the Dhemmis, especially the Jews And to a lesser extent Christians, where they participated in the history of the region and lived all the countries that ruled, from the beginning of the Islamic conquest, Based on the principles of Islamic dealing with this category, whose provisions have been defined by the Islamic Shari'a, the Dhemmis

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

have participated in all spheres of political, economic, social and cultural life. In this research we will attempt to learn about the political role they played under the Zayanid rule of the Middle Maghreb, Which ranged from the seventh century to the middle of the tenth century (H), corresponding to the thirteenth to sixteenth century(j.c), and we will try to show what positions they managed to adopt in this era, and whether their political presence in the Zayianid state, such as their presence in the neighboring Marinians and Hafsids.

Where the use of the Dhimmis more in the diplomatic field, especially when it comes to Jews who mastered several languages and enjoyed a large part of the trickery and misguidance, the rulers of Beni Abdelwad used in their embassies, especially to the Christian kingdoms.

Key words: Dhemmis-Jews-Christians- Zianid state-Ambassadors-

تمهيد:

لم يتسن لأهل الذمة خلال كل فترة حكم الدولة الزيانية الوصول إلى أي منصب سياسي سيادي مهما كان نوعه أو المشاركة في الحكم، وذلك يعود في نظرنا إلى التزام الدولة الزيانية بعدم إشراك هؤلاء في العملية السياسية نظرا للتجارب السابقة للدول الإسلامية التي بينت عن النتائج الوخيمة على الدولة والعامة من جراء استعمال الذميين في المناصب السيادية، ولعل أبرز الأمثلة التي كان الزيانيون يرون أنها جرّت الوبال على المسلمين، هي استعمال دولة بني زيري في غرناطة لليهودي "ابن النغريلة" وابنه وما حدث من ثورة عارمة من طرف أهل غرناطة، ثم كان استعمال المرينيين لليهود قد عاد عليهم بالخسران وألهب صدور العامة في فاس فثاروا ضد حكم بني مرين[1].

لكل هذا لا نجد في المصادر الإسلامية كما في المصادر اليهودية أو الغربية أي ذمي تولى منصبا سياسيا سياديا في كل عهد بني عبد الواد الذي دام حوالي ثلاثة قرون من الزمن.

إلا أن استعمال أهل الذمة كان بصورة أكثر في المجال الدبلوماسي وخاصة إذا تعلق الأمر باليهود الذين أتقنوا عدة لغات وتمتعوا بجانب كبير من الدهاء والحيلة والمكر ما

[1] انظر عن نكبة اليهود بفاس وضرب عنق السلطان المريني عبد الحق بن أبي سعيد عثمان الذي حكم (831-869هـ/1427-1464م) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج4، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م، ص 99.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

ألجأ حكام بني عبد الواد إلى استعمالهم في سفاراتهم خاصة إلى البلاد المسيحية والممالك النصرانية، وهذا ما سنحاول التركيز عليه في هذا الموضوع.

1-أهم السفراء من أهل الذمة:

احتاج الزيانيون في فترات كثيرة إلى إرسال سفارات تقوم بمهام دبلوماسية، يتمتع أصحابها بجانب كبير من الحكمة والدهاء والقدرة على الإقناع والمفاوضة، وحسن الرأي بالإضافة إلى إتقان لغات عدة، وفي كتابه واسطة السلوك في سياسة الملوك أوصى السلطان أبو حمو موسى الثاني ابنه وولي عهده أبا تاشفين الثاني أن يختار رُسله من وجوه قبيلته مبينا له الصفات التي يجب أن تكون فيهم: «الأول أن يكون قوي القلب راجح العقل، الثاني أن يكون صادق القول، الثالث أن يكون محافظا على دينه، الرابع أن يكون حافظا على الأسرار كاتما لجميع الأخبار، ثم تتبع هذه الأوصاف الأربعة الضرورية أربعة أوصاف تكملة: أحدها أن يكون فصيح اللسان حسن العبارة والبيان، الثاني أن يكون مليح الهيئة والصورة فيه محاسن مشهورة، الثالث أن يكون محبا في سلطانك عاملا على ما يوافق شأنك، الرابع أن يكون قليل الطمع متنزها عما في الأيدي تنزه الورع.».[1]

فكان اختيارهم يقع في كثير من الأحيان على اليهود الذين توفرت فيهم هذه الشروط رغم أنهم ليسوا مسلمين، وفي بعض الأحيان غير صادقين اتجاه السلطات الزيانية التي تستخدمهم، إلا أن الملوك الزيانيين استعملوهم وبعض المسيحيين مرات عديدة.

أما من جانب الدول المسيحية فقد كان يتم انتخاب القناصل كممثلين لدولهم في الدولة الزيانية أو غيرها من دول المغرب الإسلامي في بادئ الأمر من طرف التجار المتواجدين هناك، لكن ابتداء من سنة 1266م أصبح هذا القنصل يعين من طرف مجلس المائة في بلده باسم الملك الأرغوني وسمي "قنصل القطلانيين" إلى أن ظهرت مملكة ميورقة وحرصت هي كذلك على إرسال مبعوثيها إلى البلاد الزيانية. غير أنه مع تنامي اهتمام الملوك المسيحيين بالتجارة مع الجيران المسلمين والتي أصبحت مصدرا عظيما للأرباح أصبح هذا المنصب يسمى "قنصل الملك" وذلك ابتداء من سنة 1276م.[2]

---

[1] أبو حمو موسى بن يوسف الزياني ، واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1379هـ/1962م، ص 161.

[2] Charles-Emmanuel Dufourcq, L'Espagne catalane et le Maghreb au XIII et XIV^{e} Siècles –De la bataille de Las Navas de Tolosa(1212 j.c) à l'avènement du Sultan mérinide Abou-l-Hasan (1313 j.c), Presses Universitaires de France, Paris, 1966, P 69.

وعلى كل فإن مهام القنصل قد تعددت ومن بين أهمها:

-تمثيل السلطات على كل تجار بلاده وفي بعض الأحيان على كل التجار المسيحيين.

-التحكيم بينهم وإقامة العدل والمساواة.

-تمثيل تجار بلده وحتى باقي المسيحيين أمام سلطات البلد.

-باسم بلده وملكه يُسير ويراقب الحياة داخل الفنادق والأنشطة المختلفة[1].

وسنورد الآن أسماء ومهام بعض السفراء أو القناصل الذي وصلتنا معلومات عنهم بين الدولة الزيانية والممالك المسيحية:

أبراهام بن اغلال (Abraham Bengalil(Abengalel: ابن الربي يوسف بن اغلال الذي عاش في القرن 13 ميلادي في إسبانيا ثم انتقل إلى سبتة، حيث أرسل أبراهام وأخوه صامويل من طرف ملوك أرغونة (ألفونسو الثالث وجاك الثاني) في بعثات دبلوماسية إلى غرناطة والمغرب، وكان أبراهام صاحب تجارة في بلنسية.[2] ويذكر في مصادر أخرى باسم أبو أغلان Abou-Arlan وهو الذي بعثه السلطان الزياني يغمراسن بن زيان سنة 1250م إلى برشلونة لإتمام صفقات بيع وشراء بالجملة في كتالونيا ومونبوليي، واستطاع من خلالها أن يفاوض على شراء بعض عتاد السفن بالرغم من القرار البابوي بمنعه، وحاول ربط علاقات مالية مع أحد أصحاب رؤوس الأموال البرشلونيين وهو "رامون دوبانيارس" « Ramon de Bagnarés »، وإيجاد ضمانات مالية في البلاد المسيحية لصالح الزيانيين، ويذكر أن سفارة أبو أغلان هذا كانت أول سفارة بين الزيانيين والدول المسيحية خاصة مملكة أرغون، وكانت فاتحة لعلاقات دامت قرونا تميزت أغلبها بالسلم والمصالحة، عدا بعض أعمال القرصنة من الطرفين والتي كانت تتم بمرأى أو حتى دعم من السلطتين الحاكمتين[3].

ثم أرسل من طرف الملك الأرغوني ألفونسو الثالث في شهر جويلية 1290م، وعاد إلى برشلونة في ماي 1291م مصطحبا معه السفير الزياني محمد سيناج، وفي 15 من شهر ماي عام 1291م عاد إلى تلمسان للتفاوض حول إبرام معاهدة بين الملكين ولعله اصطحب معه عائلته في هذه المهمة الدبلوماسية[4]. وقد عاد من مهمته هذه في أكتوبر

[1] Dufourcq, L'Espagne Catalane, P 69.

[2] Jewish Encyclopedia, Keterpress, Juresalem, 1901-1910, vol 04, P502(voir :Bengalil)

[3] Dufourcq, op, cit, P 146-147.

[4] Jewish Encyclopedia, vol 04, P1201(voir :Bondavin)

1291م بعد وفاة ألفونسو الثالث وتولي جاك الثاني العرش فبلغه بوجهة نظر السلطان الزياني[1]. ولقد تميز هذا السفير بالفطانة والمهارة في إبرام المعاهدات، إذ أنه استطاع أن يأخذ في آخر معاهدة التزاما من السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن بدفع مبلغ سنوي قدره 2000 دينار ذهبي للخزينة الأرغونية[2].

الفاكين بوندافي Alfaqui Bondavin[3]: وهو يهودي أرسل كذلك من طرف ملكي أرغونة ألفونسو الثالث وجاك الثاني في بعثة دبلوماسية إلى تلمسان[4]. فقد تم إرساله في شهر جمادى الثاني من سنة 692هـ الموافق لمايو 1293م من طرف جاك الثاني إلى الملك الزياني أبي سعيد عثمان بن يغمراسن، لإخراج العلاقات بين المملكتين من حالة الركود التي كانت تعيشها في تلك الفترة، خاصة منذ إخفاق محادثات سنة 1291م، ويبدو أن هذا السفير اليهودي قد تلقى تعليمات محددة للعمل بها، في سبيل تحقيق الهدف الأساسي من هذه السفارة وهو التوصل إلى اتفاقية صداقة، لذلك كان على "بوندافي" أن يجعل القرار بيد الملك الزياني للتوصل إلى ما يمكن تسميته بأرضية اتفاق مختلفة عن المطالبات المالية المجحفة السابقة للملك الأرغوني "ألفونسو الثالث" المرتكزة أساسا على تحديد الضريبة السنوية المدفوعة من قبل دولة بني عبد الواد والتي لم يقبل بها الطرف الزياني. لكن الواضح أن هذه السفارة لم تحقق أهدافها المرجوة إلا أنها استطاعت أن تتوصل إلى جس نبض السلطة الزيانية بخصوص قضية الضرائب وبعض الأمور العالقة[5].

سفارة أرنو دوكورنيلا Arnau de Cornella: وكان من فرسان الميليشيا المسيحية العاملة في خدمة السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن، وقد أرسله هذا الأخير في شتاء العام 1295م إلى الملك الأرغوني جاك الثاني لطلب سفينتين شراعيتين حربيتين

---

[1] Dufourcq, op, cit, P 327.

[2] Ibid, P 325-326.

[3] عند Dufourcq تذكر هذه الكلمة "الفاكين Alfaqui " كلقب لهذا السفير غير أنها ترد في مصادر أخرى على أنها مرادفة لكلمة "مستشار« conseiller » ، انظر M.L. De Mas Latrie, Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen Age, Henri Plon Imprimerie-Editeur, Paris, 1866, P 280(introduction historique).

[4] Dufourcq, op, cit, P 139 (marge N°07)

[5] Dufourcq, op, cit, P 329.

يستعملهما في حصار بجاية، لكن أرغونة رفضت هذا الطلب بحجة أنها لا ترتبط مع تلمسان بأية معاهدة، بالإضافة إلى أنها في حاجة ماسة إلى كل سفنها، لكنها رغم ذلك تركت الباب مفتوحا لإجراء محادثات إذا أرسلت السلطة الزيانية وزيرا مفوضا إليها بصلاحيات أوسع. غير أن هذه السفارة كسابقتها لم تحقق ما كانت تصبو إليه بسبب التشدد الكبير من الأرغونيين في طلب ضرائب إضافية، الأمر الذي لم تكن لتقبله السلطات التلمسانية[1].

سلومون بن زكي Solomon benzequi: أصله من ميورقة اختار أن يستقر في مدينة برشك المتواجدة على سواحل الدولة الزيانية بين تنس والجزائر، وكان تاجرا وقد كلف عدة مرات بمهمات دبلوماسية من طرف الملوك المسيحيين.[2]

جاك ابن الملك جاك الثاني:[3] ويسمى جاك اللقيط « Jacques Le Bâtard» لأنه ابن غير شرعي لجاك الثاني ملك أرغونة، ويسمى في المصادر العربية "جاقمو" ويعد من أبرز الدبلوماسيين المسيحيين لدى المملكة الزيانية، إذ أنه قام بعدة سفارات وكان يعتبر لدى الملك الزياني أبي تاشفين الأول من المقربين وكثيرا ما استطاع أن يحقق للزيانيين مصالح جمة من خلال المعاهدات التي عقدوها مع أرغونة، وكان قد بعثه أبوه مرات عديدة في سفارات إلى تلمسان فأقام بها يرعى بها مصالح أبيه والقطلانيين ويتاجر بها[4]. وقد أرسله الملك الزياني أبو تاشفين برسالة مع حاجبه أبي يعقوب يوسف بن الحوراء مؤرخة في 17 رجب 727هـ/ الموافق لـ8 جوان 1327م، لإبرام عقد صلح، وفي نفس التاريخ حمل رسالة أخرى من وزير الملك الزياني هلال بن عبد الله القطلاني لنفس الغرض متضمنة بنود الصلح المزمع إجراؤه، وفعلا أقنع أباه بقبول عقد الصلح دون اشتراط أداء حقوق جمركية[5]. وأعيد استعماله من طرف أخيه ألفونسو الرابع -الذي استلم العرش بعد وفاة

[1] Ibid, P 331.

[2] Jewish Encyclopedia, vol 02, P 613. (voir Algeria).

[3] نلاحظ هنا الاختلاف في التسمية بين المراجع العربية فهناك من يطلق عليه اسم خايمي (Jaime) وآخرون يطلقون عليه اسم جاك (Jacques) وهو الاسم الوارد ذكره في المصادر الأجنبية مثلا عند De Mas Latrie أو Dufourcq.

[4] سعيدان عمر، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ميلادي، دراسة ووثائق (رسائل ومعاهدات) وتعاليق وتحاليل، منشورات سعيدان، سوسة، الجمهورية التونسية، نوفمبر 2002، ص 76.

[5] المرجع نفسه، ص 77.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

أبيه جاك الثاني سنة 1327م-، وأرسله أبو تاشفين برسالة بتاريخ 4 رجب 730هـ الموافق ليوم 14 ماي سنة 1330م، رفقة الشيخ أبي عمران والشيخ أبو يعقوب يوسف المعروف بابن الحوراء لإطلاع الملك ألفونسو الرابع على بعض الكتب التي أرسلها معهم بما يضمن التحالف والتعاون بين المملكتين الزيانية والأرغونية.

كما تم تعيين جاك الأرغوني -كما تسميه بعض المصادر- ابن الملك "جاك الثاني" "Jacques II " كقائد للقطلانيين بين سنتي 1325-1330م، وقد مارس مهمته كسفير وكقائد للجالية المسيحية بتلمسان في آن واحد، واستطاع أن يشرف على المهام القنصلية والتجارية، فكان بمثابة وزير تفويض للملكة الأرغونية على الأراضي الزيانية ساعدته في ذلك الحاشية التي كانت تحف به وتعينه على أداء وظيفته منهم العسكريون والمدنيون وحتى رجال الدين أمثال القس "غيوم استيف Jaume Esteve" الذي كان وكيلا لكنيسة مدينة تلمسان.[1]، كما أنه اعتلى رئاسة الجالية المسيحية كلها بما في ذلك الأرغونية والميورقية.

2-سفارات أخرى:

1.2. - من المسيحيين:

عرفت العلاقات الدبلوماسية بين الزيانيين والمسيحيين تواجد سفراء عدة من جنسيات أوربية ولعل أبرزهم كانوا أولئك الذين شغلوا وظيفة قائد المسيحيين « alcayt » وقد يطلق عليه كذلك لقب « alcayt mayor » أي القائد الأعلى، ويعتبر رئيس كل المسيحيين سواء كانوا مدنيين أو عسكريين المتواجدين على أراضي مملكة بني عبد الواد، والذي كانت مهمته تتمثل في تحصيل الضرائب المستحقة للملك المسيحي، ويعتبر رئيس وقاضي التجار المسيحيين المتواجدين في الفنادق المنتشرة في المدن الزيانية[2]، ومن مهامه كذلك القيام بالسفارات بين المملكتين في حال الحاجة إلى ذلك[3]. وقد تم تعيين عدة قادة للجاليات المسيحية وخاصة من طرف مملكة أرغونة والتي كان قائدها يعتبر قائد كل المسيحيين على أراضي الدولة الزيانية. وأول قائد مسيحي يعرف اسمه كان في

---

[1] Dufourcq, op, cit, P 472-473.

[2] Attalah Dhina, Les états de l'occident Musulman aux XIIIe, XIVe et XVe siècles –Institutions gouvernementales et administratives-, Office des publications universitaires, Alger, 1984.
, P446-448.

[3] De Mas Latrie, Traité de paix et de commerce, -supplément et tables-, P 46.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

العام 1265م، إذ أرسل "جاك المحارب" الفارس "بار فيلاراقو "Pere de Vilaragut سفيرا وقائدا في نفس الوقت لمدة 3 سنوات، مع تمتعه بنفس صلاحيات سابقيه[1] المدنية والعسكرية، وبعد عامين فقط وقبل إنهاء السفير السابق مهمته عُيّن مكانه الفارس "غيوم غالسيران" "Guillem Galceran " بنفس الصلاحيات، وبدون تحديد المدة، ثم أعيد تعيينه مرة ثانية في 11 جانفي 1272م.[2] وقد أدى هذا القائد وظيفته في تلمسان لمدة سنوات، وكان كثير التنقل بين أرغونة وتلمسان.

ويبدو أن القطلانيين من خلال معاهدة سنة 1286م الموقعة مع السلطة الزيانية قد حققوا زعامة نوعية بتبوء القائد القطلاني المعين من طرف ملك أرغونة منصب قيادة كل المسيحيين المتواجدين على أراضي مملكة تلمسان الزيانية فلا يسمح لهم بالدخول أو الخروج أو التقاضي إلا بإذن منه[3].

ويذكر في هذا الصدد إعلام الملك "جاك الثاني" " Jacques II "برسالة بعثها من فالنسيا يوم 12 أفريل 1296م أتباعه المقيمين بمملكة تلمسان بتعيين الفارس "رودريغو سانشيز دي فرغايس" "Le chevalier Rodrigue Sanchez de Vergayz" في منصب القائد ورئيس المسيحيين التابعين لمملكة أرغونة في تلمسان ويأمرهم بالتعرف عليه وطاعته في كل ما يأمر به في هذا المجال[4]، وقد أرسل هذا القائد من طرف مليكه إلى السلطان الزياني أبي سعيد عثمان يعلمه أنه يمكن الاستمرار في علاقات الود والصداقة والصلح إذا تعهد الزيانيون بدفع 2000 دينار كإتاوات ضريبية عن العام الحالي، مع الالتزام بدفع نفس المبلغ في السنوات القادمة[5].

وكذلك تعيين الفارس "فيليب دي مورا" "le chevalier Felip de Mora" في منصب القائد إبان حكم "أبي حمو موسى الأول"، إلى غاية سنة 1324 أو 1325م، يساعده في

---

[1] لم تأت المصادر التي بين أيدينا على ذكر أي ممن تولى منصب قائد المسيحيين قبل هذا التاريخ وهو سنة 1265م، غير أن وقعة إيسلي بين يغمراسن بن زيان والأمير المريني يعقوب بن عبد الحق -التي جرت أحداثها في رجب من سنة 1270م قريبا من مدينة وجدة، وكان النصر فيها للمرينيين على بني عبد الواد- تشير إلى وجود الحامية المسيحية التي ورثها الزيانيون عن الموحدين وأنها قتلت في هذه الوقعة عن آخرها وقبض على قائدها المسمى "برنيس"، انظر السلاوي، الاستقصا، ج3، ص 32.

[2] Dufourcq, op, cit,P 151-152.

[3] Dhina, op. cit., P 448.

[4] De Mas Latrie, Traité de paix et de commerce, -supplément et tables-, P 46.

[5] Dufourcq, op, cit, P 327-328.

ذلك كاتبه "غيوم سيرفيتجي Jaume Cervitge". وقد تم إرسال هذين المبعوثين من طرف السلطان أبي حمو سنة 1318م إلى الملك الأرغوني جاك الثاني، حيث أبلغاه رسالة شفوية من السلطان الزياني تتعلق بطلب عقد معاهدة صداقة وسلام بين الدولتين، وقد طلب الزيانيون في هذه المرة من الأرغونيين تعيين الشروط المالية التي يمكن شراء السلم بها، فكان الرد الأرغوني سريعا بأن ثمن هذه المعاهدة سيكون بدفع مبلغ 20000 دينار سنويا، وكان يمكن لهذه الاتفاقية أن تسير بشكل حسن لولا المؤامرة التي دبرها أبو تاشفين بن أبي حمو وأدت إلى مقتله وتبوء ابنه مكان السلطة[1]. ثم تعيين الفارس "غيوم استوريش" "le chevalier Guillem Estrus" على رأس الجالية الميورقية، وساعده في ذلك ضباط آخرون أمثال "بار ساروش Pere Sa Roche" و"برنارد دوبونتونس Bernard de Pontons" وكذا "بار سارديني Pere Sardini" وقد لعبت هذه الميليشيات المسيحية دورا هاما إبان حكم السلطان الزياني أبي تاشفين، وكان القائد "استوريش" من أبرز قادة هذه الميليشيات العاملة في خدمة السلطات التلمسانية[2].

وظهر في الجانب الدبلوماسي كذلك "غيوم بيريز" "Jaume Pérez" هجين الملك "بيار الثالث" "Pierre III"، وكان شخصية مشهورة لعبت دورا سياسيا مميزا في الفترة الممتدة من 1277-1279م وذلك بسبب معرفته الواسعة واطلاعه على بلاد المغرب من خلال تنقله بين برشلونة ومختلف المدن الزيانية وحتى الحفصية[3].

وبرزت شخصية أخرى في عهد الملك "بيار الثالث" "Pierre III" هي شخصية "إكزيمان بيريز داندوسيالا" "Eximen Pérez Dandossiella" الذي فُوّض في الفترة بين شهري جانفي-فيفري من سنة 1284م كسفير لدى السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن الذي تولى الحكم سنة قبل هذا التاريخ، وكانت مهمة هذه السفارة هي عقد معاهدة صلح وتعاون بين المملكتين الأرغونية والزيانية، لكن في المقام الأول كان هم الأرغونيين هو تحصيل الضرائب، وهو ما حدث بالفعل إذ دفع السلطان الزياني مستحقات ضريبية

[1] رضوان البارودي، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 2007، ص 25.

[2] Dufourcq, op, cit,P 472.

[3] Ibid, P 314-315.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

هي عبارة عن ديون سابقة[1]، عقدت على إثرها معاهدة الصلح والتعاون بين الملكين، مع تعهد الزيانيين بدفع إتاوات سنوية ثابتة للأرغونيين[2].

رامون دوسان ليسيرو "Ramon de San-Licerio": كلف سنة 1286م من طرف ألفونسو الثالث بالعبور إلى تلمسان لتجديد إجراءات عقد معاهدة السلم والهدنة مع الزيانيين، والتي بدأت في عهد الملك الأرغوني السابق بيار الثالث، هذه السفارة التي تزامنت في نفس الوقت مع تهديد بحري كتالاني على السواحل التلمسانية، وذلك لإرغام عثمان بن يغمراسن على قبول بنود هذه المعاهدة، وبالفعل فقد تكلل مجهود هذا السفير بالنجاح إذ توجه بعده مباشرة السفير "بار غارسيا" "Pere Garcia" -الذي كان في خدمة السلطات الزيانية- من تلمسان إلى برشلونة حاملا معه نص المعاهدة الموافق عليها والمختومة من طرف السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن وكبار بني عبد الواد[3].

بار فرنانديز دي هيجار" Pere Fernandez de Hijar(Ixar)": وهو الابن غير الشرعي لجاك المحارب، وقد عمل على توطيد العلاقات بين يغمراسن وأبيه ثم أخيه بيار الثالث وأرسل فيما بعد إلى عثمان بن يغمراسن سنة 1295م ومن خلاله طلب الأمير الزياني تأجير بعض السفن الأرغونية، وكان ذا حظوة ومكانة عند الملكين الأرغونيين السابقي الذكر، وكذا عند السلطان الزياني عثمان.[4]

برنارد بورتي: Bernard Porter: مبعوث من طرف الملك الأرغوني بيار الثالث سنة 1276م إلى ملك تلمسان يغمراسن بن زيان بخصوص الأشخاص والعائلات المسيحية أو اليهودية التي تقطن بهذه الضفة ووجوب حمايتها من أي اعتداء سواء على أنفسها أو ممتلكاتها أو أموالها[5].

---

[1] Ibid, P 319 (marge N°2).

[2] نشير هنا إلى أن الحصول على هذه النتيجة -من خلال هذه المعاهدة- وهي الالتزام بدفع ضرائب سنوية ثابتة من قبل الزيانيين لأرغونة خلال عهد بيار الثالث اعتبر كنصر سياسي ومالي للدبلوماسية الأرغونية التي لم تستطع الحصول على هذه الميزة طيلة عهد الملك السابق جاك المحارب، ذلك أن السلطان الزياني يغمراسن كان في موقع قوة لذلك لم يكن ليستجيب لطلبات الأرغونيين بيد أن دهاء وحيلة هؤلاء أجبرت خليفة يغمراسن على قبول هذا الشرط، رغم مماطلاته الكثيرة لتجنبه.

[3] Dufourcq, op, cit, P 320-321.

[4] Ibid, P 334.

[5] Norbert Bel-Ange, Les Juifs de Mostaganem, dans la collection « Histoire et perspectives méditerranéennes », Editions l'Harmattan, Paris, 1990, P 25.

برنارد ديسبيوج وبرنارد زابيلا Bernard Despuig, B.Zapila : بعثهما الملك الأرغوني جاك الثاني من برشلونة في 03 ربيع الثاني 719هـ الموافق لـ24 أفريل 1319م برسالة إلى الملك الزياني أبي تاشفين الأول لتسريح الأسرى الأرغونيين في سجون المملكة الزيانية إضافة إلى إبرام عقد صلح وتجارة بين المملكتين، عرض تأجير بعض السفن الأرغونية وتجنيد قوات مسيحية للعمل في خدمة ملك تلمسان في البر والبحر مقابل دفع مبلغ سنوي لصالح الملك الأرغوني، كما طلب هذا الأخير من أبي تاشفين القيام بهجومات على حدود ملك المغرب، لإشغاله عن الهجمات التي تريد مملكة أرغونة القيام بها في مملكة غرناطة،[1] وكذا السماح لمملكة أرغونة في حالة الحرب هذه بالتزود من المواد الضرورية من سواحل المملكة الزيانية، ويلاحظ في مهمة هذين السفيرين اللباقة التي تحليا بها لتحقيق المطالب التي بعثا لأجلها من طرف الملك الأرغوني[2].

سفارة أخرى: من ملك أرغون في 22 صفر 764هـ/ 11ديسمبر 1362م برئاسة فرنسيس قوسطة (costa) إلى السلطان أبي حمو تطلب إليه أن يشهر الحرب على ملك قشتالة في مقابل أن تعيد إليه بعض المشاغبين لبني يغمراسن ممن يوجدون بمملكة أرغون، الأمر الذي انتهى إلى عقد معاهدة بين بني عبد الواد ومملكة أرغون لمدة خمسة أعوام[3]، كان القائم عليها كذلك هو الرسول فرنسيس قوسطة ويحمل عقد الصلح تاريخ 29 صفر 764هـ الموافق لـ 18 ديسمبر 1362م[4].

كما كُلف "**جوان بيرمجلين Juan Per Michelin** " القطلاني بأن يكون سفيرا لأبي حمو الثاني ويحمل مع سفيرين آخرين رسالة إلى ملك أرغون بيدرو الرابع تحمل تاريخ 04 ربيع الثاني 761هـ الموافق لـ 23 فبراير 1360م، يعرب له فيها عن عواطفه وتؤكد أنه لا يزال يمنح له المساعدة بوسق الزرع، وفيها دعوة كذلك للصلح بعد هجوم طائفة من القطلانيين على مركب بمرسى وهران[5].

---

[1] De Mas Latrie, Traité, P 388.

[2] Ibid, P 180.

[3] عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد السابع –عهد بني مرين والوطاسيين- الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1408هـ/1988م، ص 21

[4] نص الوثيقة كاملا مترجما باللغة العربية عند سعيدان عمر، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، ص 151-165.

[5] التازي، المرجع السابق، ص 19.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

كما حاولت إمارة ميورقة في هذا الوقت أن يكون لها يد في العلاقات مع السلطة الزيانية دافعها الأكبر في ذلك هو الحصول على إتاوات ومداخيل مالية، وبالمقابل كان الهم لبني عبد الواد هو محاولة تأجير السفن الحربية لاستعمالها في مواجهة الحفصيين أو المرينيين، لذلك فقد وصل إلى تلمسان منذ سنة 1320م وخلال عهد أبي تاشفين الأول مجموعة من السفراء الميورقيين يتقدمهم "بار دومونتيسون Pere de Montesón" في المرة الأولى لوحده، ثم مرة ثانية مصحوبا بالفارس "بيرينقر دوسانتاسيليا le chevalier Berenguer de Santacilia"، ثم مع "بار غارسيا" "Pere Garcia" وأبرز من قدم من الميورقيين هو أحد الشخصيات الميورقية الشهيرة والعارف بشؤون بلاد المغرب "بينيت بلانكاس Benet Blancas"، دون نسيان دور الفارس "استوريش""Estrus" قائد الميليشيا الميورقية لدى بني عبد الواد، كل هذه السفارات حاولت عقد تحالف عسكري بحري بين الزيانيين والميورقيين في عهد أبي تاشفين الأول لكن هذه المحاولات لم تتوصل إلى إبرام أية معاهدة بسبب تعنت الأمير الميورقي "سانشو Sanche" والذي تشدد كثيرا وغالى في طلباته المالية[1].

تعلمنا وثيقة محفوظة بأرشيف التاج الأرغوني ومؤرخة في 18 يناير 1320م الموافق لذي الحجة 719هـ، أن الملك الأرغوني جاك الثاني أصدر تعليماته إلى أحد قضاته والمسمى **"لورنزو سيما" "Lorenzo Cima"** يأمره بسرعة التوجه إلى تلمسان لحل المشاكل التجارية بين البلدين، وتوصل هذا المبعوث إلى اتفاق يقضي بتنازل سلطات بلنسية عن ادعاءاتها اتجاه بعض التجار التلمسانيين ، وبالمثل تتنازل السلطات التلمسانية عن ادعاءاتها حيال التجار الأرغونيين، وبموجبه كذلك تتحصل السلطات التلمسانية على مبلغ قدره 17 ألف ريال بلنسي.[2]

2.2- من اليهود:

يعقوب بن اليسار اليهودي:

وكان سفيرا من الأمير أبي عبد الله محمد السابع الذي حكم (930-949هـ) إلى حاكم وهران الإسباني وذلك في رسالة مؤرخة في 1530/01/15م يقول فيها: «لقد وصلتنا رسالة سيادتكم وفهمنا محتواها: أن خادمنا الأمين "يعقوب بن اليسار (اليهودي)" سيقدم

---

[1] Dufourcq, op, cit,P 482-483.

[2] رضوان البارودي، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، ص 32.

عليكم موفدا من قبلنا، وسيقص عليكم حالتنا ههنا، وأرجوكم أن تصدقوا كل ما يقوله لكم على لساننا»[1]. ويتبين فيما بعد أن هذا السفير قد أدى مهمته على أحسن وجه بدليل أن حاكم وهران أرسل تقريرا إلى الامبراطور الإسباني يبين له فيه سير المفاوضات وأن هذا اليهودي رفض أن يقرر شيئا دون الرجوع إلى أميره الزياني.

ويتكلم تقرير آخر قدمه الحاكم "بيدرو دي لودي" من وهران لنيافة الأسقف مؤرخ في 20 أوت 1531م، عن استدعاء الأمير الزياني–السابق الذكر- لأحد اليهود من وهران لاستعماله في المفاوضات مع حاكم وهران[2]. ونحن لا نعلم هل هذا اليهودي المستدعى بعد سنة من استعمال "بن اليسار" هو نفسه أم أنه شخص آخر لأن اسم اليهودي الثاني لم يرد في هذا التقرير.

ويهودي آخر ورد ذكره في رسالة من الدكتور "لابريخا"كوريجيدور"* وهران للامبراطور الإسباني مؤرخة في 2سبتمبر 1531م يقول فيها أن "مولاي محمد" وهو الأمير الزياني الذي سلف ذكره قد أرسل في طلب شخص يستطيع التفاوض معه وأنه –أي الدكتور لابريخا- بعث له باثنين من اليهود الحذرين الأذكياء وهما أهم من وجد، ويذكر أن الأمور سارت بشكل حسن إلى أن قدم على الأمير الزياني مبعوث من السلطان العثماني، فتغيرت الأمور بشكل جذري إلى درجة أن الأمير الزياني قد قدم هذين السفيرين للقتل اعتزازا بقدوم مبعوث السلطان العثماني[3].

وتنقل "Chantel de la Véronne" في كتابها " Oran et Tlemcen dans la première moitié du 16s" أنه في بداية شهر فيفري من سنة 1509م ذهب كل من إسحاق كانسينو وأبراهام زاميرو إلى وهران كسفيرين لملك تلمسان مولاي أبي عبد الله، ثم عادا إليها في السنة التالية في بعثة دبلوماسية أكثر رسمية[4]، وتم عقد اتفاقية سلام في 14 جوان

---

[1] المدني، أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ضمن كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 230.

[2] توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص 231-232.

* تكتب بالفرنسية Corrégidor وتعني قاضي المدينة (قديما في إسبانيا)، انظر المنهل قاموس فرنسي-عربي، سهيل إدريس، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثالثة والعشرون، 1999م، مادة -corr، ص 311.

[3] المدني، المرجع السابق، ص 232.

[4] Chantel De la Véronne, Relations entre Oran et Tlemcen dans la première partie du XVIe siècle, Librairie orientaliste Paul Geuthner S.A, Paris, 1983, P 15-16.

1511م بين الملك الزياني وحاكم وهران وصودق علها في تلمسان في شهر أكتوبر من العام نفسه، وقد ضمت هذه البعثة الدبلوماسية المبعوثين السالفي الذكر كانسينو وزاميرو، بالإضافة إلى الهودي أبراهام عزيل(Oziel) الذي كان في خدمة ملوك تلمسان، وكذا الهودي المسمى "ميمون Maymon"، الذي أرسله الأمير الزياني على مدينة تلمسان إلى وهران آنذاك رفقة مجموعة مهمة من الوزراء والسفراء المسلمين.[1]

كما تذكر بعثات أخرى تمت بقيادة أبراهام زاميرو وصموئيل زاطورة (Zatora) وخادمه الهودي كذلك المدعو الكوركوبادو (el corcobado) أي القرطبي، هؤلاء المبعوثين كانوا شبه دائمين بين مملكة تلمسان والإسبان الذين احتلوا مدينة وهران[2].

وفي 1537/10/09م كلف "مولاي محمد الزياني" الحاخام **"حيام بنو درهوم"** أن يطلب من حاكم وهران تسديد 4000 دينارا لبني زيان حقا لهم في الضريبة الجمركية[3].

في سنة 1529م أرسل "مولاي عبد الله" الهوديين **"حايم وأكسيا Haym et Oxua"** إلى الإسبان، مكلفا إياهما بإعلام نظرائه المسيحيين بأن -التموين بالقمح كما اتفق عليه الطرفان- لن يكون إلا بعد تجميع كل الكمية المعلومة بميناء مستغانم قبل تاريخ 22 جوان من السنة الجارية، وكلف الهوديان بالإشراف على هذه العملية بعد وصول السفن المخصصة لذلك من إسبانيا والتي كانت تنقصها الحماية العسكرية لذلك فقد تعرضت لهجوم تركي بعد ذلك[4].

وفي سنة 1544م أرسل الإسبان مبعوثين يهوديين هما **"أغوس وأكسل"**[5] فوصلا تلمسان واتصلا بالأمير مولاي محمد واستطاعا أن يتحصلا على اتفاق معه أمضي من طرفه في 28 أكتوبر 1544م الموافق لـ 12 شعبان 951هـ وبمقتضى هذا الاتفاق يدفع مولاي محمد لصالح الإسبان ما قيمته خمسة آلاف دينار[6].

---

[1] De la Véronne, op, cit, PP 16-19.

[2] فوزي، سعد الله، يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، الجزء الأول، دار قرطبة، الجزائر، 1426هـ/2005م، ص 302.

[3] مختار، حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، دار الحضارة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007م، ص 125.

[4] De la Véronne, op. cit, P 38.

[5] لم يرد ذكر هذين المبعوثين إلا هنا، ولم نجد لهما ذكرا في كل المراجع سواء العربية أو الأجنبية(التي بحوزتنا) التي تتحدث عن العلاقات أو السفارات الدبلوماسية بين الزيانيين والمسيحيين.

[6] حساني مختار، المرجع السابق، ج1، ص 191.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

خاتمة:

تطلعنا المصادر التاريخية على وجود أسماء متعددة لأهل الذمة من مسيحيين ويهود الذين كانوا نشطين في الجانب الدبلوماسي، ونظرا لتغير الحكام الزيانيين وتصارعهم على الحكم بين الفينة والأخرى، وتحالفهم مع الإسبان، فإنهم استعملوا كثيرا من السفراء الذميين، ولم يكن همهم في ذلك إلا تحصيل عوائد مالية أكثر، واستغلال المساعدة الإسبانية للبقاء مدة أطول على كرسي الحكم، ولو كان ذلك على حساب إخوتهم أو أعمامهم أو حتى الآباء، والقتال حتى مع بني جلدتهم بمساعدة المسيحيين الذين كانوا يطمحون أكثر فأكثر لاستغلال هذا الوضع واحتلال مناطق أخرى من البلاد الزيانية كما فعلوا بوهران والمرسى الكبير وغيرها.

المصادروالمراجع:

1-أبو حمو موسى بن يوسف الزياني ، واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1379هـ/1962م.

2-البارودي، رضوان، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 2007.

3-التازي، عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد السابع –عهد بني مرين والوطاسيين- الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1408هـ/1988م.

4-حساني، مختار، تاريخ الدولة الزيانية، دار الحضارة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007م.

5-سعد الله، فوزي، يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، الجزء الأول، دار قرطبة، الجزائر، 1426هـ/2005م.

6-سعيدان عمر، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ميلادي، دراسة ووثائق (رسائل ومعاهدات) وتعاليق وتحاليل، منشورات سعيدان، سوسة، الجمهورية التونسية، نوفمبر 2002.

7-المدني، أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ضمن كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

8-الناصري السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد (ت 1279هـ/1863م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م.

9-المنهل قاموس فرنسي-عربي، سهيل إدريس، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثالثة والعشرون، 1999م، مادة -corr.

10-Bel-Ange, Norbert, Les Juifs de Mostaganem, dans la collection « Histoire et perspectives méditerranéennes », Editions l'Harmattan, Paris, 1990

11-De la Véronne, Chantel Relations entre Oran et Tlemcen dans la première partie du XVIe siècle, Librairie orientaliste Paul Geuthner S.A, Paris, 1983.

12-Dhina, Atallah, Les états de l'occident Musulman aux XIIIe, XIVe et XVe siècles –Institutions gouvernementales et administratives-, Office des publications universitaires, Alger, 1984.

13-Dufourcq Charles-Emmanuel, L'Espagne catalane et le Maghreb au XIII et XIVe Siècles –De la bataille de Las Navas de Tolosa(1212 j.c) à l'avènement du Sultan mérinide Abou-l-Hasan (1313 j.c), Presses Universitaires de France, Paris, 1966,

14-Jewish Encyclopedia, Keterpress, Juresalem, 1901-1910.